عاهـــل الريف [1] !

[الثَّوْرُ]

فى جَوقةٍ للرِّيفِ يعزفُ عُودُها ... ويَرِنُّ فى سَمْعِ الضحى تَغْرِيدُها
قَبَسَتْ من الأطيار رِقةَ شَدْوِها ... وأعارها سِحْرُ الصدَى غِرِّيدُها
وترنَّمتْ بين الحُقول قَصيدةً ... عذراءُ من نَغَم السماءِ نشيدُها
تشدو فيُصغى الصمتُ من وَلَعٍ بها ... ويكاد من طربِ السُّكون يُعيدُها
ثاوٍ هُنالكَ كبَّلَتْهُ يدُ الأسَى ... وثَنَتْهُ عن عبث المِراح قُيودُها
شيخٌ أصمُّ تكنَّفتْ أطرافَهُ ... سَوْداءُ من صُلْبِ الزمان حديدُها
أحكامُ ذلٍّ لُحْنَ فوق حبينه ... سُوداً تكتَّمَ بالسِّياط وَعِيدُها
سجنَتْهُ فى رحْبِ القضاء، وخلَّدَتْ ... آذانَه رَهْنَ الجبال جُدودُها
عُكَّازُهُ سوط تلهَّبَ فوقه ... ناراً يَشُبُّ على حَشاه وَقودُها
رَقَمَتْ على أضلاعه أسْطورةً ... دُفِنَتْ بأسرار الدهور عُهودُها
أسْطارُ مَظْلَمةٍ وآيةُ ذِلةٍ ... أعْيا فلاسفةَ الورَى تَرْديدُها
لو ألْهِمَتْ سحرَ البيان لمَا شَدَا ... إلا بفلسفة السِّياط قَصيدُها !

***

صَرَخَت نواعيرُ الرُّبَى لإسارِهِ ... وتفجَّعَتْ أسفاً عليــــه كبودُها
فانسابَ فَيْضُ عيونها، وتفجَّرَتْ ... دمعاً من البلوى لديه مُهودُها
عجباً لنائحةٍ عليــــه لو انَّها ... تبكى لصمْ الصخْرِ ذاب جَليدُها

(١) «قصيدة من ديوان « المروج » الذى يصدر فى الخريف القادم » .

وهي التي ألقتهُ في كنَفِ الضنَى ورماه في العدَمِ المهين وجُودُها !

* * *

عَيناه غلَّفتا فات سناهما في ضَحْوَةٍ رَفَّتْ عليه بُرودُها
وأزاهرُ البستان ترنو حوله مُتفتِّحاً يحسو الضيا أملودُها
من نورِهِ المكبوت أشرق نَوْرُها فاهتزَّ في الألق المنضَّرِ عُودُها
وشدا الحنانُ المرُّ من دُولابِهِ فتراقصَتْ فوق المروج قُدودُها
ولو انها علمَتْ أساه لصوَّحَتْ وذوى لهُ رَيحانُها ووُرودُها

* * *

يا نَوْرُ ! كيف غزَتكَ أسواط الورى وتقطَّعَتْ في جانبيكَ جُلودُها ؟
مرَدَتْ على كتفَيكَ مِحْراباً إذا صلَّتْ به يفرى حشاك سُجودُها
وكأنما نشقَتْ بجلدك فوْحةً من روحها الفاني، فجُنَّ وَريدُها (١)
شربَتْ دماءَكَ خمرَةً وتصايحَتْ سكرَى تخبَّطَ هائماً عربيدُها
يهذي فتحسبُ حين يصطخبُ الصدَى جِنًّا تفزَّع في الفلاة شريدُها ؟

* * *

« آبيسُ (٢) » أيُّ سريرة بَلهاءَ في عطفَيكَ قد أعيا الحِجا معقودُها !
حُمِلَتْ من « هوروس (٣) » أقدمِ آيةٍ عُبِدَتْ وقدِّسَ في القلوب عهيدُها
أذكى لها الكهان نارَ بخورهم في « منف » يسطع في المعابد عُودُها
أرواحُ ضلاَّلٍ حبَتكَ رَشادَها وجَثَتْ لديكَ على التراب وُفودُها

---

(١) إيماء إلى جاذبية الشيء لأصله .
(٢) اسم العجل الذي كان معبود الفراعين قديماً .
(٣) في أساطير الفراعنه أن « هورد هذا » هو الاله الذي حلت روح في « آبيس » .

بَذَلتكَ تقديس النُّهى ، ولو انَّهُ للصَّخرة الصَّماء رِيعَ صلودُها
عبدتكَ أبلهَ لا تعى ! ياضلَّةً لو تستطيع ذَرَا هداكَ جُحُودها !

***

يا حكمةً فى رَوْقكِ العانى ! كَبَا فى العقل ناهضُها . وطاس شديدُها
زعموكَ تحمل أرضهم . . ولو أنَّها عقلَتْ ، تميد وهادها ونُجودُها !
. . . . . .
ما العاهلُ الجبّارُ مَنْ ذا دَوْلَةٍ وُقِفَتْ على ذل العباد جُهودها
هوَ أنتَ مَنْ جعل المروج خَمَائلاً عَيْدَانَةً يَسبى النفوسَ شُهُودُها
فى كلِّ حقلٍ من جهادك آيَةٌ يضفو على الرِّيف الشقى خلودُها

محمود حسن اسماعيل
بدار العلوم